

المحاضرة التاسعة: تاريخ الفكر السياسي في عهد الثورة الفرنسية

نعالج موضوع تاريخ الفكر السياسي في عهد الثورة الفرنسية من خلال محاور ثلاثة رئيسية وهي المشهد العام للثورة الفرنسية، تأثير الفلاسفة في الثورة الفرنسية و فكره الثورة الفرنسيه من حيث مصادرها ومراجعتها الاصلية.

1_ المشهد العام للثورة الفرنسية

يعد اندلاع الثورة الفرنسية سنة 1789 حدثا مفصليا في التاريخ الحديث، إذ أنهى نظام الحكم المطلق وفتح المجال أمام تحولات سياسية واجتماعية عميقة. وي طرح هذا الحدث تساؤلا جوهريا :لماذا اندلعت الثورة الفرنسية؟ ولماذا قرر الشعب الفرنسي الثورة على النظام القائم؟
تجمع أغلب الدراسات التاريخية على أن الثورة لم تكن نتيجة سبب واحد، بل كانت حصيلة تفاعل مجموعة من العوامل الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تراكبت عبر الزمن.

أولا: الأسباب الفكرية (دور حركة التنوير)

شهدت فرنسا خلال القرن الثامن عشر ازدهارا فكريا كبيرا عرف بـ"حركة التنوير"، التي لعبت دورا مهما في زعزعة أسس النظام الملكي المطلق. فقد انتقد المفكرون الاستبداد ودعوا إلى الحرية والمساواة.
برز من بين هؤلاء المفكرين:

– جان جاك روسو الذي دعا إلى فكرة سيادة الشعب من خلال كتابه "العقد الاجتماعي"، حيث اعتبر أن السلطة مصدرها الأمة وليس الملك.

– فولتير الذي انتقد هيمنة الكنيسة ودافع عن حرية الفكر والدين، مطالباً بإصلاحات سياسية تقلص من سلطة الملك والكنيسة.

– مونتسكيو صاحب كتاب "روح القوانين"، الذي وضع نظرية الفصل بين السلطات (التشريعية، التنفيذية، القضائية) كضمانة ضد الاستبداد.

ساهمت هذه الأفكار في نشر وعي سياسي جديد لدى الفرنسيين، وشجعتهم على رفض الحكم المطلق والمطالبة بنظام أكثر عدالة.

ثانيا: الأسباب الاقتصادية والاجتماعية

كان المجتمع الفرنسي قبل الثورة قائما على نظام طبقي غير عادل، يتكون من ثلاث طبقات:

1. طبقة رجال الدين

2. طبقة النبلاء

3. الطبقة الثالثة (عامه الشعب)

كانت الطبقتان الأولى والثانية تتمتعان بامتيازات واسعة، أهمها الإعفاء من الضرائب، في حين تحملت الطبقة الثالثة العبء الأكبر من الضرائب رغم كونها الأكثر عددا وإنتاجا.

في المقابل، ظهرت طبقة جديدة هي البرجوازية (التجار، الصناعيون)، التي امتلكت قوة اقتصادية لكنها كانت مهمشة سياسيا، ما دفعها للمطالبة بالمشاركة في الحكم.

كما تأثرت فرنسا بالأفكار الاقتصادية الليبرالية، خاصة تلك التي نادى بها آدم سميث، الذي دعا إلى تحرير الاقتصاد وتقليص تدخل الدولة مبدأ "دعه يعمل، دعه يمر" Laissez-faire وهو ما تعارض مع السياسات التقليدية (المركنتيلية) السائدة آنذاك.

ثالثا: الأزمة المالية والظروف المعيشية

مثلت الأزمة المالية العامل المباشر في تفجير الثورة، حيث عانت الدولة الفرنسية من عجز مالي حاد

نتيجة:

✓ الإنفاق الكبير على الحروب، خاصة دعم الثورة الأمريكية.

✓ سوء تسيير الموارد المالية.

✓ إعفاء النبلاء ورجال الدين من الضرائب.

إضافة إلى ذلك، شهدت البلاد أزمات معيشية حادة، أبرزها:

✓ ارتفاع أسعار الخبز بسبب سوء المحاصيل الزراعية.

✓ انتشار الفقر والبطالة.

وقد زادت الأزمة حدة بعد إقالة وزير المالية الإصلاحية الذي كان محبوبا ومفضلا لى عامة الشعب، ما أثار غضب الشعب.

رابعا: الأسباب السياسية وضعف الملكية

اتسم حكم لويس السادس عشر بالضعف وسوء الإدارة، إذ لم يتمكن من التعامل مع الأزمات المتفاقمة.

أمام الأزمة، اضطر الملك إلى استدعاء مجلس الطبقات 1789، لكن ممثلي الطبقة الثالثة أعلنوا

أنفسهم "الجمعية الوطنية"، وطالبوا بوضع دستور جديد للبلاد.

وعندما حاول الملك إيقافهم، اجتمعوا بملب مجاور وتبنوا ما أصبح معروفا بقسم ملعب التنس، متعهدين بعدم التراجع حتى وضع دستور للبلاد، وهو ما شكل نقطة تحول حاسمة.

خامسا: اندلاع الثورة (الحدث المباشر)

في 14 جويلية 1789، قام سكان باريس باقتحام سجن الباستيل، الذي كان رمزا للسجن وللاستبداد الملكي والسلطة المطلقة، وهو الحدث الذي يعد البداية الفعلية للثورة. تطورت الأحداث سريعا، حيث:

- ✓ أعلنت حقوق الإنسان والمواطن .
- ✓ تصاعد نفوذ التيارات الثورية، خاصة اليعاقبة .
- ✓ انتهى الأمر بإعدام الملك وإعلان الجمهورية.

II_ تأثير الفلاسفة في الثورة الفرنسية

تعد الثورة الفرنسية من أهم الأحداث التي أثرت في تاريخ الفكر السياسي الحديث. غير أن مسألة تأثير فلاسفة القرن الثامن عشر فيها ما تزال موضوع جدل بين المؤرخين. فإلى أي حد كانت أفكار فلاسفة الأنوار سببا مباشرا في اندلاع الثورة؟ وهل كانت الثورة نتيجة فكر نظري، أم ثمرة ظروف اجتماعية وسياسية واقعية؟

أولا: إشكالية تأثير الفلاسفة

يرى بعض الباحثين، أن للثورة جذورا فكرية واضحة، من خلال دراسة انتشار كتب فلاسفة الأنوار. ولفهم هذه العلاقة، ينبغي اعتماد عدة مستويات نوجزها فيما يلي:

1_ انتشار كتب الفلاسفة

يجب دراسة عدد النسخ المتداولة من مؤلفات فلاسفة مثل، فولتير وجان جاك روسو وغيرهم . هذا أولا، لكن المشكلة ان هذه الكتب لم تكن متاحة للجميع، لأنها كانت باهظة الثمن. أيضا هناك الموسوعة الأنسيكلوبيديا كانت حكرا على الطبقات الغنية.

ولهذا فان تأثير الفلاسفة لم يكن مباشرا وشاملا لكل فئات المجتمع.

2_ الفئات الاجتماعية المتأثرة (المستوى الثاني)

لم تصل أفكار الفلاسفة إلى جميع الطبقات بنفس الدرجة، بل انتشرت خاصة بين:

- ✓ النبلاء المثقفين
- ✓ البرجوازية (التجارية والمالية)

3_ المستوى الثالث التأثير غير المباشر للفلاسفة (الأفكار المبسطة)

هو أن تأثير الفلاسفة لم يكن فقط عبر القراءة المباشرة، بل أيضا عبر: أفكار مبسطة أو مشوهة انتشرت بين الناس وهذا ما يمكن تسميته بـ"الفولتيرية الشعبية" أي أن كثيرا من الناس تبنا أفكارا تنويرية دون قراءة مباشرة لفولتير أو غيره. ويمكن دراسة ذلك من خلال:

✓ الصحف

✓ المنشورات الثورية بين 1789 و1792

4_ المستوى الرابع ترتيب التأثيرات الفكرية

يرى بعض المؤرخين مثل جاك غوديشو أن:

✓ تأثير الفيزيوقراطيين كان الأقوى. ويسمون أيضا الطبيعيون أو أنصار المذهب الطبيعي رداً

على مذهب (التجارين)

✓ يليهم جان جاك روسو، ثم فولتير، ثم مونتسكيو.

لكن هذا الترتيب محل نقاش، إذ هناك من يرى ان هناك تقليل من دور مونتسكيو أو مبالغة في دور

الفيزيوقراطيين على خلفيات سياسية او فكرية أيديولوجية. فعلى العموم أن تأثير الفلاسفة متداخل وغير قابل للترتيب الحاسم.

ثانيا: مبادئ الثورة (مبادئ 1789)

ظهرت المبادئ الأساسية للثورة في نصوص كبرى، أهمها:

✓ كتيب "ما هي الطبقة الثالثة؟" ل إيمانويل جوزيف سياس Emmanuel-Joseph

✓ إعلان حقوق الإنسان والمواطن

1_ سيادة الأمة: فالأمة هي مصدر كل سلطة ولم يعد الملك يمثل الدولة، بل أصبح جزءاً منها.

2_ العقلانية: رفض التقاليد التاريخية غير العقلانية واعتبار الواقع القائم غير مقبول إذا كان غير

منطقي.

3_ المنفعة: التركيز على فائدة المجتمع وتقديم الطبقات حسب دورها الاقتصادي.

4_ الفردية: الأمة تتكون من مجموع الأفراد والإرادة العامة هي مجموع الإيرادات الفردية.

5_ الصبغة القانونية: المجتمع يقوم على القانون والقانون هو أساس التنظيم السياسي.

ثالثا: إعلان حقوق الإنسان والمواطن

يعد إعلان حقوق الإنسان والمواطن خلاصة فكر الأنوار، وقد أكد على:
الحرية والمساواة والملكية والأمن ومقاومة الظلم.

كما نصّ على: سيادة الأمة وسيادة القانون والحرية كحق طبيعي.

لكنه لم يكن كاملاً، إذ استثنى بعض الفئات (كالعبيد والفقراء) وعكس مصالح البرجوازية أساساً
رابعاً: التيارات السياسية خلال الثورة (ندكر أبرزها)

1_ الجيرونديون: كان للجيرونديين خرافة ساهم لامارتين في خلقها بصورة واسعة في كتابه "تاريخ
الجيرونديين" 1847 وهذا الكتاب الذي نال نجاحاً واسعاً واثبت صورة الثوري المثالي وصانع الانسانية
والمضحي من اجل المستقبل.

✓ دافعوا عن الحرية والحرب

✓ عارضوا مركزية باريس

✓ لم تكن أفكارهم متماسكة تماماً

2_ اليعاقة: اليعقوبيون (Jacobins) أعضاء في الجمعية التأسيسية وهم تيار سياسي راديكالي متشدد
قادوا البلاد نحو الجمهورية وتبنوا سياسات مركزية متشددة، أبرزها "عهد الإرهاب" بقيادة ماكسيميليان روبيسستير،
بهدف حماية الثورة.

واليعقوبية بالمعنى الحديث للكلمة قد ولدت من الحرب. انها "عقيدة الوطن في خطر" وعقيدة السلامة
العامّة والامة. ومع اليعقوبيين ظهرت فكرة جديدة عن الحرب. وبعدّ جديد للوطنية. منذ 1789 كان أنصار
الثورة يسمون الفسهم الوطنيين (مقابل الارستقراطيين). برزوا بقيادة ماكسيميليان روبيسستير، وتميزوا بالدفاع
عن الوحدة الوطنية، وطرحوا فكرة الأمة المسلحة والسيادة الشعبية المباشرة.

3_ وهناك المهاجرون. فالافكار السياسيّة التي لدى المهاجرين شكل المهاجرون خارج فرنسا بؤرات
معادية للثورة ولكنهم كانوا عناصر نافذة للتوسع الفرنسي في الخارج وقد لعب العديد منهم دوراً مهماً أوائل الثورة
اشترك مونييه وهو احد ابرز اعدائهم في صياغة وتحرير اعلان حقوق الانسان والمواطن.

III نعالج فكره الثورة الفرنسيه من حيث مصادرها ومراجعتها الاصلية.

من كتاب: جان توشار بمعاونه لويس بودان وبيار جانين جورج لافو وجان سيرينلي، تاريخ الفكر
السياسي ترجمه علي مقلد الطبعة الثانية 1983.

وهو عمل جماعي يبدأ من اليونان وروما وبدايات المسيحية مروراً بالقرون الوسطى الى غاية القرن السادس عشر ونشر الكتاب سنة 1918.

ونعالج الموضوع (فكره الثورة الفرنسيه) من خلال النص الذي يعالج فكرة أساسيه دقيقة وهي أن الثورة الفرنسية لم تكن مجرد هدف سياسي غير المؤسسات بل كانت لحظة تأسيس عميقة للفكر السياسي الاوروبي الحديث رغم قلة المؤلفات النظرية التي ظهرت اثناء الثورة الفرنسية.

اولاً: المفارقة الاساسية في النص تشير الى مفارقة مهمة

1_ من جهة أحدثت الثورة الفرنسية تغييرات جذرية في فرنسا واوروبا (اسقاط النظام الملكي، تغيير البنية الاجتماعية والسياسية)

2_ من جهة أخرى لم تنتج هذه الفترة _اي فترة الثورة الفرنسية_ عددا كبيرا من المؤلفات الفكرية والنظرية ويمكن تفسير ذلك الى ما يلي:

السبب في ذلك أن الثورة كانت فترة أحداث متسارعة وصراعات حادة، حروب، اضطرابات، صراع داخلي، مما جعل المفكرين على ثلاثة مسارات:

_ المسار الاول إمّا منخرطين في العمل السياسي المباشر .

_ المسار الثاني مضطرين لاتخاذ مواقف عاجلة ومتسارعة بسبب تسارع الاحداث الجارفة، مع أو ضد

الثورة.

_ المسار الثالث، معزولين عن المجتمع.

بمعنى آخر زمن الثوره هو زمن الفعل لا زمن التنظير .

ثانياً مقارنة بين مرحلتين في الانتاج الفكري

المرحلة الاولى مرحله الثوره والامبراطورية 1789-1815

المرحلة الثانيه وهي مرحله الترميم، فالانتاج الفكري _من كتب ونظريات وأفكار_ كان أكثر غزارة في فترة الترميم بينما كان أقل خلال الثورة. لكن نشير هنا أنه رغم كثرة التأليف في فترة الترميم فان الافكار الاساسية لم تخلق فيها ولم تنبثق منها، بل تعود جذورها الى فطرة الثورة الفرنسية نفسها اي اثناء الحراك الثوري العنيف.

ثالثاً الثورة كمرحلة انتاج المفاهيم السياسية

أهم المفاهيم السياسية التي استمر استخدامها الى اليوم نشأت بين 1789 و 1815 خاصة بين سقوط الباستيل واحداث التاسع ترميدور (سقوط روبيسير) ماكسيميليان روبيسير قائد عهد الارهاب في الثورة الفرنسية إثر الانقلاب.

ومن هذه المفاهيم

1_ اليمين واليسار: تصنيف سياسي ظهر داخل الجمعية الوطنية.

2_ الوطن: ظهور مفهوم الدولة الحديثه تقوم على القانون، المواطنة، السيادة الوطنية.

3_ الامة المسلحة: فكرة تعبئة الشعب للدفاع عن الدولة.

4_ المواطنة الحديثة.

فالثورة في هذه المرحلة لم تنتج كتبا ولكنها انتجت لغة سياسية جديدة اضافة الى هذه المفاهيم الجديدة هناك رموز وطقوس سياسية عديدة في هذه الحقبة مثل:

العيد الوطني، النشيد الوطني، الطقوس والاحتفالات السياسية. فالثورة لم تغير فقط الافكار بل الرموز الجماعية، الذاكرة الوطنية، الممارسات السياسية اليومية.

رابعا استمرار الصراعات الفكرية والاجتماعية

إن آثار الثورة الفرنسية لم تختف بل استمرت في المجتمع الفرنسي واستثمرت في

_ الصراع بين الملكيين والجمهوريين بين البيض والزرق.

_ ذكريات ثورة الفانديين (انتفاضات مضاده للثوره 1791 اندلعت في منطقة الفاندي _فاندي غربي

فرنسا_ مثلت أول تمرد ضد الحكومة الثورية الجمهورية، معارضة الاصلاحات، التجنيد ضد السياسة المعادية للملكية)

_ التوتر بين الدولة والكنيسة بسبب.

▪ الدستور المدني للاكليروس

▪ الدعوه الى العلمنة، أي علمنة المجتمع وعبادة العقل.

فالثوره خلقت انقسام أو انقسامات عميقة طويلة الأمد ما تزال تؤثر في السياسة والمجتمع.

أهميه دراسه اللغة والمعجم السياسي

هناك المعجم السياسي الذي يحدد المصطلحات والكلمات.

وهناك التحولات والتطورات التي طرأت على المفاهيم.

فبالنسبة لهذه الأهمية يمكن الرجوع الى أعمال فردينان برونو FERDINAND BRUNOT الذي درس تطور اللغة السياسية خلال الثورة الفرنسية (1860-1938) بكونه مؤلف المرجع الضخم " تاريخ اللغة الفرنسية من أصولها إلى عام 1900 (Histoire de la langue française des origines à 1900) " كما نشير إلى دلالة في غاية الأهمية وهي من أجل فهم الفكر السياسي، لا يكفي دراسة النظريات بل يجب أيضا دراسة كيف تغيرت الكلمات وكيف اكتسبت معاني جديدة، ولهذا نلاحظ أنه بالرغم أن الثورة الفرنسية لم تنتج عددا كبيرا من المؤلفات النظرية بسبب ظروفها العنيفة والقاسية، فإنها كانت المرحلة الحاسمة التي ولدت فيها المفاهيم والرموز الأساسية للفكر السياسي الحديث والتي ما تزال تؤثر في حياتنا السياسية.

مصطلحات اساسية لا بد من مسح الغبار عليها

1_ ما المقصود بالمؤسسات الاوروبية

تعني مجموع البنى التي يقوم عليها المجتمع والدولة مثل:

_ النظام السياسي (ملكية، البرلمان، تشكل الحكم)

_ أيضا النظام (القانوني اي القوانين والقضاء)

_ النظام الاجتماعي (اي الطبقات _ النبلاء رجال الدين عامه الشعب)

_ أيضا المؤسسات الدينية مثل دور الكنيسة في الحكم والمجتمع

_ وأخيرا الاداره (اي المؤسسات _ القواعد المنظمه للحياه السياسي والاجتماعيه _

2_ اصلاح النظام القانوني: ظهور قوانين حديثة تقوم على الحقوق الفردية حيث تأثرت اوروبا بقانون

نابليون الذي نصر مبادئ الملكية الفردية، المساواة، حرية التعاقد.

3_ تأثير الثورة الفرنسيه خارج فرنسا او انتشارها وهو ما يعبر عنه بتصدير الثورات من الداخل الى

الخارج فالثوره الفرنسيه انتشرت في كامل اوروبا مثل الحروب النابليونية، والافكار الثوريه وانتشارها في كل من

المانيا، ايطاليا واسبانيا. حيث بدأت هذه الدول باصلاح انظمتها وشهدت ثورات لاحقة متأثرة بفرنسا.

4_ القانون المدني للاكليروس 12 جوان 1790 قانون اقترحتة الجمعية التأسيسية الوطنية خلال الثورة

لإعادة تنظيم الكنيسة الكاثوليكية محولا القس أو القساوسة الى موظفين مدنيين داخل الدولة.

5) الترميديويون مجموعة من النوب اتحدت للقضاء على ماكسيميليان روبيستير. افكارهم اساس

العقيدة الليبرالية الحديثة استمدوا افكارهم من مبادئ الثورة لضمان النظام البرجوازي.